الحجاج في آيات الحيوان في القرآن الكريم

أ.د. نفلة حسن أحمد

(لغة عربية)

م.م. شهاب أحمد سلمان

(علوم القرآن)/ جامعة كركوك

Arguments in the Verses Concerning Animals in the Holy Quran

Prof. Dr. Nafla Hassan Ahmed

(Arabic Language)

Asst. Lect. Shihab Ahmed Salman

(Quranic Sciences) / University of Kirkuk

ملخص البحث

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد..

فهذا ملخصٌ لبحث عنوانه (الحجاج في آيات الحيوان في القرآن الكريم)، وهو يسلط الضوء على محور بلاغي خطابي جليل، يقع فحواه في أتون موضوع الحجاج، وما له من الأهمية العظمى في الإقناع والتدليل على قدرة رب الأرباب وحججه البالغة القاطعة على إلوهيته ووحدانيته، في سالف الأزمان وحاضرها، وعظائم الأمور ومحدثاتها، وذلك في نص كتابه القرآني الأبدي العظيم، المعجز في كل شيء، في لفظه وسياقه ومقامه وخطابه الفكري العقدي، ومجمل مناحيه الدالة على الحقائق من غير تشكيك أو تقاطع، مما يرتسم في صوره البيانية، ويترجمه الواقع، ويصدقه الحال عبر قرائن محفوفة بالأدلة والبراهين، لا يدركها إلا الكيّس الفطن، ولا يعيها إلا العاقل الحصيف.

وبما أن مرمى الحجاج هو التأثير في المخاطب؛ بغية الإقناع والتسليم بالدعوة التشريعية والسنن الكونية، وذلك عبر وسائل خطابية إبلاغية، تنفذ إلى قرارة الحس، وتستوطن العقل، لتسمو به إلى أعالي مراتب المنطقية الفكرية -وما أكثر ذلك في القرآن الكريم-؛ لذا فإننا سنسترشد بما جاء في آيات الحيوان في هذا الصدد فحسب، ليس من باب الإجمال والاختصار -فتناول الغيض لا يصل مبلغه من مداد الفيض- بل من باب التمثيل على حجاجية النص الرباني في الآيات التي تضمنت الحيوان بمجمل فصائله، وعليه فإن مخطط البحث قام على توطئة تفهرس مفهوم الحجاج بوصفه وسيلة إقناعية ودالة إبلاغية، تتجلى فاعليتها بقطبيها (المُرسِل/ المرسَل إليه)، ثم مبحثين، الأول: آيات المحاججة على لسان الحيوان. والمبحث الثاني: آيات المحاججة بالحيوان، ثم الخاتمة التي وقفت على المحصلة الهادفة مما تم ذكره فيما تقدم.

Abstract

This research sheds light on a sublime rhetorical theme, within which lies the topic of argumentation. It is of paramount importance in convincing and demonstrating the power of Allah and His conclusive and decisive arguments for His divinity and oneness, in the past and present, in the most important and recent of matters. This is evident in the text of His eternal, great Qur'anic Book, miraculous in every way: in its wording, context, position, intellectual and doctrinal discourse, and in its overall approach to truths without doubt or contradiction.

This is evident in its rhetorical images, translated into reality, and corroborated by circumstantial evidence and proof, which only the intelligent and perceptive can grasp and only the wise and discerning can comprehend. Since the purpose of argumentation is to influence the addressee, with the aim of persuasion and acceptance of the legislative call and cosmic laws, through rhetorical and informative means that penetrate the depths of the senses and settle in the mind, to elevate it to the highest levels of intellectual logic. There is much of that in the Holy Quran - we will therefore be guided by what is stated in the verses on animals in this regard only as an example of the argumentative power of the divine text in the verses that include animals in all their species. Accordingly, the research plan was based on an introduction that indexes the concept of argumentation as a means of persuasion and a communicative function, the effectiveness of which is manifested by its two poles (sender/recipient), then two sections, the first: verses of argumentation on the tongue of animals. The second section: verses of argumentation with animals, then the conclusion that stopped at the purposeful result of what was mentioned above.

المقدمة:

بسم الله، والحمد لله، مُباركٌ مبتداها، ميمونٌ منتهاها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المجتبى، خير البرية ومحجة عُلاها، وعلى آله وصحبه عظماء الأمة وقادة هداها.

وبعد...

فإن البحث في كتاب الله العزيز، والتمعن في أسراره، من ألطف وأجمل ما يمكن أن يستشعره المؤمن، ويستهدي به الى سُبُل الخير والحكمة، ومن الصعوبة بمكان استيفاء أي بحث بمحاور هذا الأسرار أو التوقف عند حد معين منها؛ لأن القرآن الكريم هو نص مفتوحةٌ أبوابه على التأمل والدراسة والتأويل كلما امتدت الأزمنة وتوالت الدهور الى حيث يشاء رب العزة جل في علاه.

ومن منِنِهِ تعالى على المرء أن يجعله مدركاً منازل العلم بقدرة الخالق، وجبروت عظمته، وكريم آلائه، وجليل رحمته، والاعتراف بتوحيده، والاستعاذة من وعيده، والإقرار بربوبيته، فيعي جميع ذلك برَوية فكرٍ وسلامةِ منطق، يستعين بهما على فهم كلامه سبحانه، المعصوم من الزلل، والمنزه من الخطأ والاختلاف، وهو أجلى ما ينبري للخلق من الحجج الدالة على قداسة هذا الكتاب العظيم، وعليائه على ما سواه من كتب وأقوال، حال بينها وبينه قوة الدليل وبرهان العقل وسلامة اللسان وجزالة النظم.

في ضوء هذا الإسناد المنطوي على ألوهية التبليغ الذي ليس كمثله شيء، استجلبنا البحث في آيات المحاججة القرآنية التي ذُكر فيها الحيوان، وذلك من باب الوقوف على بيّنة القول، وكمال الحكمة الربانية من جعل حيثيات الرسالة الإبلاغية وقوة أدلتها وبراهين حجاجها في الآيات التي تضمنت الحيوان إما استنطاقاً على لسانه، أو استدلالاً على ذكره وغاية وجوده ضمن سياق الآية.

وبناءً على ذلك انقسم مخطط البحث على أساس محورين: الأول استقرأنا فيه آيات المحاججة على

لسان الحيوان، وتناولنا في الثاني آيات المحاججة بالحيوان.

مدخل تمهيدي:

جرت السنّة في إعداد أي دراسة منهجية أن نقف على مفاهيم مصطلحاتها الأساسية ومحددات معانيها المؤصلة لتلك المفاهيم، وذلك من باب الاسترشاد بهَدْي حمولتها اللغوية والفكرية في توجيه مسارات البحث وتنوير الباحث.

لكن من المهم أن نتحرى وجود اللفظ الذي يعنى به بحثنا -وهو الحجاج- في القرآن الكريم، إذ وردت مشتقاته في آيات متعددة من السور، كما وردت ألفاظ دالة عليه كـ(الآية والمجادلة والبرهان) في آيات أخرى، أما الورد الاشتقاقي فقد جاء مثلا في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة:١٣٩] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٢٠]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٦٥-٦٦]، وقوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الانعام:٨٠]، وورد لفظ (الحجة) في ثلاثة مواضع، في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ

وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٠]، وقوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى:١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ [غافر:٤٧]، وثمة مواضع أخرى باستطاعة قارئ القرآن الكريم مطالعتها واحصائها.

ولاشك في أن الذكر المتعدد لألفاظ الجذر اللغوي(الحاء والجيم)، انما جاء لغاية محددة يمليها السياق، فيكسبها القبول والمنطقية، ثم المقام العام لكل سورة من السورة المذكورة آنفاً، بالنظر الى كونه –أي المقام– مصدر القرائن ومبنى علاقات الكلام، وهو ما تتعين رؤيته في لفظ(حاجه) (تحاجوني)(تحاجوننا)(يتحاجون) التي ينم مجيئها في سياق المراوغة الخطابية والتعنت العقدي والعملي بقصد المحاجة أي المخاصمة بالباطل؛ لذا كان حق مآل هذه المحاجة هو فقدان الهداية، والوقوع في الضلال، والجهل بعواقب الأمور، والافتقار الى العلم الحقيقي المكتمل في علم الله تعالى، ثم أخيراً الاستسلام لخاتمة التيه والمكابرة التي لم تُغنِ لهم شيئاً، ولعل إمعان النظر والتفكر في رتبة الخطاب ومنتهاه في الفاصلة القرآنية توضح ما سبق القول فيه.

أمّا لفظ (الحُجة) فقد ورد في سياقاتٍ تضمنتها ثلاث سورةٍ وهي(البقرة والنساء والشورى)، وكل سورة من هذه السور ارتبط سياق هذا

اللفظ فيها بمقامها المشتمل على علم اليقين المزيل للشك والريب، فسورة البقرة تمحورت موضوعاتها حول ثلاثة ركائز، الأوّل: التشريع الالهي الذي قضى بأن يكون الكتاب العظيم هو مصدر الأحكام والضوابط، فكان مفتتحها: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]، والثاني: تعداد صفات المتقين والكافرين والمنافقين، والثالث: الأمثال والأحداث الدالة على عظمة الله تعالى، وعلمه المطلق، وقدرته التي وسعت كل شيء، وحين نقرأُ سياق الآية القرآنية ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٠] نعلم يقيناً أن الخطاب الموجه للرسول صلى الله عليه وسلم مُتضمنٌ معنى (الحُجَّةُ) -كما جاء عند أهل اللغة-، وهو "وَجْهُ الظَّفَر عند الخُصومة. والفِعل حاجَجْتُه فَحَجَجْتُه. واحتَجَجْتُ عليه بكذا"[١]؛ ذلك أنه "باستقبال الكعبة قامت الحجة على أهل الكتاب والمشركين وانقطعت حججهم عليه، إلا من ظلم منهم أي: من احتج منهم بحجة هو ظالم فيها، وليس لها مستند إلا اتباع الهوى والظلم، فهذا لا سبيل إلى اقناعه والاحتجاج عليه، وكذلك لا معنى لجعل الشبهة التي يريدونها على سبيل الاحتجاج محلاً يؤبه لها، ولا يلقى لها بال؛ فلهذا قال تعالى:﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾؛ لأن حجتهم باطلة، والباطل كاسمه مخذول"[٢]، وهذا السياق مرتبط بالركائز التي قامت عليها السورة - فيما ذُكر سابقا- من ناحية التشريع - أي تحديد وجهة القبلة-، ومن ناحية تحديد صفة المعاند وتشبثه بالباطل، ومن ناحية أن التوقيف الرباني والعظمة الالهية هما مصدر هداية الناس جميعاً، وهذا المصدر هو أَوْلى بالخشية منه من دون غيره.

وفي الموضع الآخر، لما كان

المقصد الرئيس لسورة النساء هو توحيد الله عز وجل، وادراك كنه هذا التوحيد بالدلائل والبراهين الدالة على افراده بالربوبية والالوهية من دون شريك، كانت مسألة ارسال الرسل والانبياء للتبشير والانذار أمرا مفضياً لبطلان الحجج التي تُنْكر مقصد التوحيد الخالص، وهو ما اتفق مع سياق الآية القرآنية التي تضمنت لفظ(الحجة) في هذه السورة.

أما سورة الشورى فقد تناولت جوانب العقيدة السمحاء، وهي: (الوحدانية، وجلالة الرسالة الاسلامية، والبعث والجزاء)، وهنا نلتمس برؤية واضحة قيام سياق الآية (...لا حجة بيننا وبينكم) على هذه الجوانب في مجملها، إذ بعدما "تبينت الحقائق، واتضح الحق من الباطل، والهدى من الضلال، لم يبق للجدال والمنازعة محل؛ لأن المقصود من الجدال إنما هو بيان الحق من الباطل، ليهتدي الراشد، ولتقوم الحجة على الغاوي"[٣].

من هنا يستطيع المتمعن في الآيات الكريمات أن يقف على مظان لفظ (الحجاج) لغوياً، ويدركها بفهم وتدبر، فقد "يقال: حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها (.....) وسلك المحجة وهي الطريق، وقيل: جادة الطريق، وقيل: محجة الطريق: سننه والجمع المحاج، تقول: عليكم بالمناهج النيرة والمحاج الواضحة. والحجة بالضم: مصدر بمعنى الاحتجاج والاستدلال. وفي التهذيب محجة الطريق: هي المقصد والمسلك"[٤].

ومفاد هذا التعريف يصور قيام الطبيعة الحجاجية على وجود جهتين متقابلتين ومختلفتين، تكون الغلبة فيها لمن يعزز حجاجه بالدليل الذي هو متكئ الخطاب بين الطرفين، ولكل منهما طريقه أ و مسلكه الخاص في إثبات الرأي أو الفكرة التي هي مثار الجدل.

وقد أوضح ذلك ابن منظور بقوله: "يقال: جادَلْت الرجل فجَدَلته جَدْلاً أَي غلبته، ورجل جَدِل إِذا كان أَقوى في الخِصام، وجادَله أَي خاصمه

مُجادلة وجِدالاً والاسم الجَدَل وهو شدَّة الخصومة، وفي الحديث ما أُوتي الجَدَل قومٌ إلاَّ ضَلُّوا الجَدَل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة المناظرة والمخاصمة"(٥).

وهاهنا تبرح لنا مسميات لفظية أخرى تعطي معاني الحجاج، جاء منها في القرآن الكريم، كلفظ (البرهان) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء:١٧٤]. وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧] وقال الله سبحانه: ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص:٣٢].

كما ورد لفظ (الجدال) في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الانعام:٢٥]. و قال عزَّ من قائل: ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال:٦]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦].وقال سبحانه: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ..﴾ [المجادلة:١]. وورد لفظ (الخصام) في قوله تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج:١٩]. وقال تبارك وتعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [ص:٢٢]. وقوله تعالى: ﴿ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف:١٨]. وقال سبحانه وتعالى:

﴿ وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة:٢٠٤].

أما لفظ (آية) فكانت له مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وهي تزيد على الأربعين موضعاً، منها قوله تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ [طه:٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران:١٣].

وثمة مواضع أخرى كثيرة للفظ (آية) في القرآن الكريم، وهي تعطي معنى الدليل المعجز الذي يضاهي كل الأدلة ويبطلها، وتعد من الأدوات الرئيسة للحجاج من أجل الوصول إلى وجه الحق.

أما بقية الألفاظ كالبرهان والخصام والمناظرة التي ترادف معنى المجادلة بالحجة، فقد أخذ فيها العلماء مناحٍ متعددة، منها ما هو مستمد من أصول الفلسفة، ومنها ما تواضع عليه علماء الصناعة، ومنها ما هو داخلٌ في ضوابط أصول الفقه، ناهيك عن تعدد معانيها عند أهل التفسير[٦]، غير أن أبرز لفظٍ يُرادف الحجاج ويُعطي معناه اصطلاحاً هو (الجدل)، وقد أقرّ بذلك القدماء وبعض المحدثين في استعمالهم لهذين اللفظين بوصفهما مترادفين، وإن كان ذلك من شأنه أن يُضيّق مجال الحجاج ويغرقه في الجدل من حيث هو صناعة منطقية، في حين أن الحجاج مداه أوسع من الجدلِ بكثير[٧]، إذ إن كل "جدل حجاج وليس كل حجاج جدلاً، فهو القاسم المشترك بين الجدل والخطابة"[٨].

ومن الملاحظ أننا كلما حاولنا الوصول إلى تعريف مصطلح (الحجاج)، أو حتى الإمساك بتلاليب مفهومه، أحالنا ذلك إلى تعريفات متداخلة ومصطلحات أخرى شائكة، تقع في مدار المصطلح الأشمل، وهو (الحجاج) الذي يَعْنَى بمجالات متشعبة وضروب متعددة من الكلام، لكن حدّه العام هو بنية لغوية ترتكن

إلى آليات منطقية يتداولها طرفا الخطاب (المرسِل)و(المرسَل) إليه، من خلال تقديم الأدلة والبراهين التي تراعي طبيعة المقام الاجتماعي لكلا الطرفين، وتؤدي المعاني في جوهرها البياني (البلاغي)، مما هو أدعى للقبول، وأجدر للتأثير.

المبحث الأول: آيات المحاججة على لسان الحيوان

من أسرار اعجاز القرآن الكريم نصيته اللغوية التي فاقت كل فنون الكلام فصاحةً وبلاغةً ودلالةً وجمالاً وتركيباً، ولا غرو في أنه كان ومازال مدعاةً للتأمل والتفكير عند أهل العلم والبلاغة والتفسير، وأبرز صوره الاعجازية هو قوة تحديه لعالم الأنس والجن على أن يأتوا بمثله، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الاسراء:٨٨]، وإذا نظرنا الى هذه الزاوية فضلاً عن ما سواها من منظور خطابي؛ لسلّمنا بأن هذا التحدي هو أساس الحجة القائمة على منطقية الاستدلال بالغلبة المقنعة فكراً ومضموناً، والاستدلال هنا آل بالطرف الآخر الى الاستسلام والخضوع لقوة بلاغة الخطاب المحاجج به.

وفي نطاق العموم "يقوم الحجاج في بنيته الأساسية على فن الإقناع بواسطة البراهين والأدلة المنطقية والعقلانية، وان تعددت أنواع الحجاج بأساليبه وأدواته، فإن الحوار بين المتجادلين يبقى الطريقة التي تحمل في أساليبها أدلة وبراهين الحجاج وأدواته وروابطه الحجاجية، ومن هنا تأتي أهمية الحجاج المحادثي، أو كما يسمى عند بعض الباحثين بالحجاج الحواري أو التداولي"[٩].

وليس شرطاً أن يأتي الحوار على لساني طرفين متشابهين في الخصائص والصفات -ولا نقصد اللغوية؛ لأن اللغة هي مفتاح الفهم بين طرفي الرسالة البلاغية- بل البيولوجية والخَلْقية، وهو ما لم نجده إلا في محكم كتاب الله العزيز، كالحوار الذي يحمل

دلالات الحجاج بين النبي سليمان عليه السلام وطائر(الهدهد) في قوله عز وجل: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل:٢٠-٢٢]. ومعلوم أن المسوغ لفقه النبي سليمان عليه السلام لغة المخلوق الطائر قد تقدمت به مسبقاً الآية القرآنية من السورة نفسها ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل:١٦]، ومن كمال الوراثة اتيانه من كل شيء، فعلم بذلك لغة الطير وسائر الحيوانات.

وقد وقف أهل التفسير عند ذلك ملياً، فكان لهم في ذلك آراء عدة، منها ما ذهب إليه ابن كثير قائلاً: "أخبر سليمان بنعم الله عليه، فيما وهبه له من الملك التام، والتمكين العظيم، حتى إنه سَخَّر له الإنس والجن والطير. وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضًا، وهذا شيء لم يُعطَه أحد من البشر -فيما علمناه- مما أخبر الله به ورسوله، وَمَنْ زعم من الجهلة والرّعاع أنّ الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود -كما يتفوه به كثير من الناس -فهو قولٌ بلا علم. ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة"[١٠]. وعند هذا الفهم يتجلى وجه الاعجاز القرآني الأول في هذه المحاورة التي ستتجلى حجاجياً بين جهتَيْها (الانسان) متجلياً بمنزلة المُلْك والعظمة، و(الحيوان) متجلياً في قوة المُراسَلة وجلب الأخبار.

يقول ابن عاشور: "وفائدة هذا العلم أن الله جعله سبيلاً له، يهتدي به إلى تعرف أحوال عالمية يسبق الطير إلى إدراكها بما أودع فيه من القُوى الكثيرة، وللطير دلالة في تخاطب أجناسها واستدعاء أصنافها والإنباء بما حولها،ما فيه عون على تدبير ملكه وسياسة أمته، مثل استخدام نوع الهدهد في إبلاغ الأخبار وردها ونحو

ذلك"[١١].

إذن فقه أحد الطرفين للغة الطرف الآخر مع عدم استوائهما في الجنس والرتبة هو أبرز صور علّية الحجاج القرآني في هذا الموضع على ما دونه من المحاجات الكلامية التي تتداولها كتب البشر، إذ كل ما نلفيه فيها من قبيل ذلك هو واقع في باب الخيال الفني الذي لا صحة له ألبته، أما في القرآن الكريم فهو قائم على الحقيقة الاعجازية المحضة؛ لأنها من وحي رب العزة والجلالة.

ومن منطلق فهم آلية اللغة يأخذ التراسل الخطابي هنا بعده التداولي، لكن مما قد يستفهمه العقل، ما علة فهم النبي سليمان عليه السلام منطق النملة في الآية القرآنية التي وقع ترتيبها توقيفياً قبل تفقده الطير، وذلك في مقام اجتماعه العام بالمخلوقات؟ وقد أوّل أهل التفسير السبب في أن «الاقتصار على منطق الطير إيجاز؛ لأنه إذا عَلِم منطق الطير، وهي أبعد الحيوان عن الركون إلى الإنسان وأسرعها نفوراً منه، علم أن منطق ما هو أكثر اختلاطاً بالإنسان حاصل له بالأحرى كما يدل عليه قوله تعالى فيما يأتي قريباً: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ [النمل:١٩]، فتدل هذه الآية على أنه عُلِّم منطق كل صنف من أصناف الحيوان»[١٢]. وإذ كان لسان حالها ناطقاً في الآية القرآنية: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[النمل:١٨]، فقد آل سياق تحذيرها لمعشر جنسها من النمل الى حال تبسم النبي سليمان واعجابه بمنطقها، مكتملا بدعاء إلهام الشكر على هذه النعمة الكبيرة.

ثم تبدأ الانتقالة الى حال التفقد للطير، وكأن تسلسل مقام ما حشر لسليمان وجنوده من الانس والجن والطير أخذه مجراه الطبيعي من دون اقحام عنصر المفاجأة التي من شأنها قطع تسلسلية ذلك المجرى، فلو أعقبت آية التفقد للطير آيه العلم بمنطقه، لاقتصرت رتبة ملكية النبي

(سليمان) وعلمه على درجة محدودة من القيادة الملزمة للطاعة؛ لذا فإن ورود آية النمل بكل ما فيها من دلالات ومضامين تثبت شرعية تلك القيادة واحقيتها بالمسؤولية، علماً اننا لم نقف عند مقول هذه الحشرة من باب الخطاب الحجاجي؛ لأن سياقه اقتصر على الخطاب التبليغي المحذر -كما قلنا- فحسب، لكن لا يمكن اغفال النظر عن اهميته في التمهيد للخطاب التالي له من حيث اثبات المبرر المعني بالسؤال عن الهدهد.

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۞ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۞ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۞ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۞ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۞ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة النمل:٢٠-٢٦].

إن اطلاق الحكم بالتعذيب الشديد أو الذبح، دليل على ان الخطاب موجه من صاحب سلطة ذي رهبة مهيبة، وأن المحكوم مطالب بتقديم حجة غيبته، وإلا وقع عليه تنفيذ الحكم، وبذلك دل الأمر على ان الحوار جارٍ بين آمر ومأمور وحاكم ومحكوم، ولنتأمل كم من الجرأة والاسناد الكلامي الذي يحتاج إليه المحكوم للدفاع عن نفسه كي يثبت بيّنة ادانته بالغياب أمام مرأى السلطان، ولننظر كذلك إلى ضعف كيانه المشخص الصغير حيال مَن بإمرته جنود عظام، إذن الأمر يحتاج الى قوة في الحجة الدفاعية، حتى يتحقق الاقناع بها.

وللجاحظ عند مثل هذه المسألة في مجمل كلامه عن الحجج رأي مفاده: "إن كل منطيق محجوج، والحجة حجتان: عيان ظاهر، وخبر قاهر، فإذا

تكلمنا في العيان وما يفرع منه فلا بد من التعارف في أصله وفرعه منه، و لابد من التصادق في أصله، ومحال كون الفرع مع عدم الأصل، وكون الاستدلال مع عدم الدليل، والعقل مضمن بالدليل، والدليل مضمن بالعقل، ولا بد لكل واحد منهما من صاحب، وليس لإبطال أحدهما وجه مع ايجاب الآخر، والعقل نوع واحد، والدليل نوعان: أحدهما شاهد عيان يدل على غائب، والآخر مجيء خبر يدل على صدق"[١٣].

وقد حضر الطائر الغائب بعد انتظار السلطان مكثاً غير بعيد، بفعل عجلة تنفيذ أوامر البحث عنه، فتقدم بحجة عيانية وخبرية في الآن نفسه، علماً أن الثانية هي التي أوعزت بدلالة الأولى، وهي المتقدمة في الخطاب الإخباري في قوله: (أحطت بما لم تحط به)، ولنعلم فخامة الأسلوب وجزالة الرد في مقام الدفاع عن النفس، إذ كيف يمكن لكائن صغير أن يتكلم بهذه الصيغة الخطابية لولا أنه قد أتى بخبر يدل على صدقٍ! ولا شك في أنه صدق عياني متمثل بشخص امرأة تسجد لغير الله تعالى؛ لذا فقد تم نعت نبأه بـ(اليقين)، وهو ما لا يقبل عدم التصديق به، حيث الصورة العيانية شاهدة ولا يمكن إنكار رؤيتها، ومن جانب آخر لننظر الى ابتداء الجملة بإحاطة العلم ونسبتها الى تاء المتكلم في حد يفوق حد إحاطة الطرف المناظر له خطابياً، مما أضفى على الصيغة الأسلوبية طابع الإثارة والترغيب في معرفة ذلك العلم الذي لم يكن ضمن حدود معرفة صاحب القيادة والأبهة السلطانية، إذن فهذا رد مبهر ومثير في الوقت نفسه، ومستند في المقول إلى أصل عقلي، بدايته الحجة المبرهنة على صدق الخبر، ومنتهاه وجوب التسليم بأن أحقية الله عز وجل بالوحدانية في العبادة مقدم على كل ملكوت بشري.

يقول صاحب الكشاف: "ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام، على ما أوتى من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة، والإحاطة بالمعلومات

الكثيرة، ابتلاء له في علمه، وتنبيهاً على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علماً بما لم يحط به، لتتحاقر إليه نفسه، ويتصاغر إليه علمه، ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذى هو فتنة العلماء"[١٤].

ومن باب تأكيد بيان هذا الطائر لعلمه بهذه الإحاطة أسعف أسلوبه بالمؤكد (إن) في الآية التي تلتها في قوله: (اني وجدتها...) على الرغم من انه استجلب نبأً يقينياً، يدعى بـ(الخبر الصادق)، الذي هو عند البلاغيين، «ما كان من الكلام مطابقاً للواقع في حقيقةِ الأَمْرِ»[١٥]، ولا ريب في مجيء (إن) هنا قد استدعاه حال المخاطَب (النبي سليمان) لأجل تأكيد صحة الخبر له، فالمخاطِب (الهدهد) عالم في نفسه، بأن أمر التشكيك واقع به لا محالة: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل:٢٧]، وهي الآية التي جاءت على لسان المخاطَب بعد سماعه لبيان النبأ كاملاً.

وعوداً الى ذلك النبأ، نلحظ الصياغة المتدرجة في ترتيب الأخبار التي تضمنها على حسب ما يمكن أن يستجلب إذن السامع، ويجعله متحفزا للإصغاء الذي تستهويه النفس، فتركن الى قبوله مع اقتناع العقل به، وقد كان هذا التدرج مرتباً كما يأتي:

- إيراد الخبر ابتداءً بالجانب العقدي الإيماني الذي لا يصح إلا صحيحه، ولا يُقبل إلا منطقه، وهو منطق الوحدانية المسلّم بها عند كل الانبياء والرسل.
- إسناد الكشف عن مخالفة ضوابط تلك العقيدة عند ملكة (سبأ) الى الذات المتكلمة (الهدهد)، ثم تأكيد ذلك الإسناد بتكرار الفعل (وجدت)، ولا يخفى ما للتكرار -من الناحية الأسلوبية- من أهمية في تعيين معنى الفعل وتأكيد فائدته في الذهن.
- مراعاة حال المقام عند ذكر صفات المرأة بالنظر الى حال مقام المخاطَب، فهو ملك وهي ملكة، أوتيت من كل شيء كما قد أوتي هو من قبلها، ولها عرش عظيم يضاهي عظمة عرشه، فما

هي نسبة الشبه في عظمة الملوك؟ وما قيمتها أمام عظمة الله تعالى المطلقة؟!

ربما يعد السؤال الأول هو مصدر الدافع الاستفزازي دنيوياً، غير أن السؤال الثاني هو مولِّد الإثارة عند المخاطَب (النبي)؛ لذا استأنف الهدهد كلامه المفصل عن طبيعة العبادة لغير الله عز وجل عند تلك الملكة و قومها.

- الإعلام عن تفاصيل تلك القضية التي وجدها المخاطِب عند اولئك القوم، وايمانه المطلق باقتضاء العبادة لله تعالى من غير شريك، وبأن الشيطان هو سبب هلاك مَن يزيغ عن العقيدة المنطقية الصحيحة، كل ذلك يعد دليلًا آخر مسوغاً لدفاع الهدهد عن نفسه ودفع ما قد يشكك بأمره.
- استعمال أسلوب الوعظ والحث على أحقية الله عز وجل بالعبادة، ثم انتخاب الصفة الإلهية المتعينة في استخراج الخبء في السماوات والأرض، مما يشمل كل خبيئة فيهما من الرزق والغيث والنبات، ثم الصفة المطلقة الأخرى المتعينة في العلم بكل ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال، وعند هاتين الصفتين تتلاشى كل الصفات التي قد يستعظمها بعض البشر، ومنهم الملوك، بل ان فردانية العظمة المطلقة لله الواحد الأحد ها هنا هي الأبهى حضوراً لذوي العقول الرشيدة والأحكام السديدة.

وفي ضوء كل ما تقدم به (الهدهد) الذي انتهى كلامه عند هذا الموضع، والذي اعتمد فيه على مراتب الصياغة اللغوية الداعية للفهم والتأمل، بدأت استجابة المخاطَب للموقف المعروض أمامه، والبيان المتلو على مسمعه، حتى بات الاقتناع بكل ما قيل أمراً قاضياً باتخاذ هذا الطائر أميناً للمراسيل الخطابية التي توجه بها النبي سليمان عليه السلام لملكة سبأ؛ طلباً لهدايتها.

وبناءً عليه تم استبدال حكم الذبح أو القتل الصادر -فيما سبق- بفعل كل ما تضمنته هذه المحاججة المنطقية التي ارتكنت الى الدليل ثم البرهان على صحة عيانها، فتحول الحال من موقف الاتهام والشك الى

موقف الثقة والائتمان والحرص على بلوغ الغاية المنشودة بتوحيد الإيمان والاستسلام لله تعالى.

المبحث الثاني: آيات المحاججة بالحيوان

ثمة مواضع قرآنية عديدة تنوع فيها ذكر الحيوان، سواء بوصفه آلية مستعملة في اثبات الحجة المطلوبة، أو بوصفه آية دالة على أفق البعد الاستدلالي الذي هو لصيقٌ بمجال المنطق والبرهنة، بل أن بعض السور جاءت بمسمى الحيوان كسورة البقرة وسورة الفيل وسورة النمل وسورة العنكبوت وسورة النحل، لكن من المهم الفات النظر الى أنه ليست كل المواضع التي تم ذكر الحيوان فيها هي متضمنة للمفهوم الحجاجي، فبعضها مثلاً جاء في باب الضابط الشرعي من حيث حرمة الأكل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣]، أو مما يدخل في سياق الأمر والنهي وقوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٩]، أو مثلا قوله تعالى في بيان أهوال يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة:٤]، وغير ذلك من الآيات التي لا تقع -كما أسلفنا- في باب المحاججة.

أما الآيات المقصودة في هذا المبحث فهي عديدة ومتنوعة في الآن نفسه، ونستشهد منها على سبيل المثال لا الحصر ما جاء في سياق الاثبات القاطع على القدرة الالهية في الإماتة والإحياء، قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٥٩].

إذ ابتدأت الآية الكريمة بأداة العطف على معرض السياق الحجاجي في الآية التي سبقتها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

ما يمثل موضع الشاهد هنا هو (الحمار) الذي جعل الله سبحانه وتعالى ذكره مناسباً لمقتضى حال الرجل الذي مرّ على تلك القرية الخاوية على عروشها؛ لأنه من المعهود أن هذا الحيوان هو واسطة النقل المعتمدة في حمل المتاع والأثقال فضلاً عن الأشخاص، فإن قيل إن هذه الصفة تشاركه فيها الخيل والبغال كذلك، كان مرد القول ان الاشتراك في الصفة لا يلزم الاشتراك في الحقائق والمعاني، فهذا المركوب هو الرفيق الدائم للإنسان، وهو مضرب الدلالة على الصبر والمصابرة، وربما يبدو من الضرورة تصعيد هذا الجانب عند رؤية الأشياء والصور (كصورة القرية الخاوية) التي تعجب منها الرجل مستفهماً عن كيفية احيائها بعد شدة خرابها، وعن المدة التي ستستغرقها اعادة اعمارها، ولا يكاد ذو حس يتصور مشهد القرية بخوائها مع حيوان غير هذا الحيوان الذي كانت من دلائل رفقته المتجسدة في ضمير الكاف –حمارك– اماتته مع صاحبه مائة عام، في حين أن الطعام والشراب بقي كما هو (لم يتسنه)، إذن فلنتأمل هذا الامتداد الزمني الكبير الذي يتطلب من المرء أن يصبّر نفسه ليجعلها موقنةً بقوة القدرة على الإحياء بعد الإماتة؛ لذا كان الزمن قصيراً في منظار ذلك الرجل (يوماً أو بعض يوم)، لكن بعدما تبين له الزمن الحقيقي وهو(مائة عام)، أسلم الى العلم اليقيني بأن الله تعالى على كل شيء قدير.

وفي موضع قرآني آخر نلحظ ذكر (الكلب) ضمن سياق الخطاب الآتي، ومضرب مثاله في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا

فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الاعراف:١٧٥-١٧٦].

هنا يطالعنا الخطاب القرآني بتبليغ النبأ عن ذلك الذي أوتي علم بعض ما جاء في كتب الله عز وجل المتقدمة، فانسلخ منها بعد أن كان عالماً بها وصاحب حكمة وموعظة، وقد تنوعت آراء المفسرين حول كينونة شخصه، وتعيين ذاته المقصودة في الآية الكريمة[١٦]، غير أن ما يختص به محور موضوعنا أن هذا الانسلاخ هو الذي شكّل نقطة التخاصم الفاصلة بين الحق والباطل، وهو داخل في باب المكابرة والعناد؛ لأن الأمر متعلق بمن له العلم المسبق واليقين بوجوه البيان الرباني، ومع ذلك أنكرها واتّبع حزمة الشيطان، فكان من الغاوين، فاستحق مضرب التمثيل بالكلب.

والتمثيل من الآليات البلاغية التي يجسدها السلّم الحجاجي بأدواته المطواعة لسياق بنائها الذي يتحكم فيه المرسِل، بالإضافة الى توظيف تقنيات الحجاج الأخرى بمعانيها وخصائصها وإمكاناتها المعروفة، كالأدوات اللغوية الصرفة مثل ألفاظ التعليل، والتركيب الشرطي، والحجاج المتبادل، والصفات، والأفعال، والعلامات غير اللغوية كالإشارات الجسدية، والصور والهيئات المتعددة، وغيرها من الآليات الأخرى التي تتضمن الروابط الحجاجية كدرجات التوكيد، والإحصاءات، والصيغ الصرفية المتنوعة بتنوع دلالاتها[١٧].

وإذ نعيد كرة التأمل في الآية القرآنية التي ضُرب بها الكلب مثلاً، نلتمس مجموعة من تلك التقنيات التي عززت من حجاجية الخطاب في هذه الآية، أولها التركيب الشرطي عبر لفظ (لو) في سياق جملة (ولو شئنا لرفعناه بها)، التي أفادت امتناع رفعة مكانة –ذلك الرجل– العلمية،

لامتناع مشيئة الله جلّ في علاه، وهي صيغة أسلوبية متلائمة منطقياً مع مضمون الآية السابقة؛ إذ لما كان الرجل منسلخاً عن ما أُوتي به من العلم بآيات الله تعالى كانت عقوبته أجدر بوضعه في الحضيض، لا العلو والانتفاع بحاله كما هو في منازل العلماء العارفين المقرين بطريق الحق؛ والرابط الحجاجي في ذلك يترجمه أسلوب الاستدراك ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، إذن فالعلة السببية مشار إليها في توالي ما أقدم عليه من أفعال مسبقاً؛ لذا امتنع ما كان سيقع له من الهيبة والرفعة والتسامي؛ احتكاماً لامتناع المشيئة الالهية التي سُبقت برفض الطاعة والخضوع لها.

عقب ذلك جاءت آلية التمثيل في سياق التركيب التشبيهي ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾، وهو تركيب تجلت فيه أكثر من أَمارة، جزء منها لغوي فسرته (إنْ) الشرطية مع فعلَيها، والجزء الآخر غير لغوي يصور للذهن هيئة الكلب في حاليه: حال حمله المتاع، وحال تركه سواء أكان رابضًا أو مطرودا، فهو في لُهَاث مستدام لا يتغير شكله، وهيئته العلاماتية الدالة على القبح وبشاعة المنظر الذي تشمئز منه النفوس.

يقول الرازي مفسراً هذه الهيئة: "واعلم أن هذا التمثيل ما وقع بجميع الكلاب، وإنما وقع بالكلب اللاهث، وأخس الحيوانات هو الكلب، وأخس الكلاب هو الكلب اللاهث، فمن آتاه الله العلم والدين فمال إلى الدنيا، وأخلد إلى الأرض، كان مشبهاً بأخس الحيوانات، وهو الكلب اللاهث"(١٨). ولنتأمل كم هي دنيئة ومقرفة تلك الصورة الحيوانية التي صارت مثلاً لكل ضال عن الهداية، مارق عن الإيمان بآيات الله سبحانه، يأبى الخضوع لمنهج الحق، والتعقل بما جاء فيه، بل يكذبه ويكفر به.

أما ختام الآية فكان معبراً عن الغاية العظمى من المثل المضروب بانتقاله من السياق الخاص –حال الرجل الذي تجرد من علمه بآيات

الله– الى السياق العام ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، حتى لكأن صورة الكلب اللاهث في عموم أحواله قد أصبحت حافز التخيل عند الأذهان بأنها صورة عوام المكذبين على صعيد القوم، لا الفرد بعينه، وهي نتيجة منطقية متلازمة مع مقتضيات الأفعال التي آلت الى استحصالها على اثر مبتغاها الدنيوي البذيء.

واخيراً نعاين أن توجيه الخطاب قد آب الى مجراه الاصل وهو التبليغ المرسَل لنبيه المصطفى محمد ﷺ بعد أن أدرج نبأ الرجل ومثيله، ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، مما يسترشد بالناظر المتمعن إلى أن المقام الإبلاغي الذي احتوى مجمل السياقات المذكورة هو مَشْغل التركيز على المقصدية الإقناعية والتأثيرية في مَن يكفر برسالة الوحي ويشكك بأمر النبوة، وفي ذلك رصد للبعد التواصلي والسياقي والوظيفي في آن معاً، فالأول مداره ثنائي بين طرفي الرسالة: (وحي السماء/ الرسول المُبلِّغ) ثم (الرسول/ عوام البشر)، أما مدار الثاني فهو التلازم بين تراكيب الجمل الحجاجية التي تطرقنا إليها آنفاً، في حين كانت مكامن البعد الوظيفي متحققة في نطاق أفعال القول المنجزة ضمن كل سياق، والآثار المترتبة عنها، مع الفات النظر الى وجود المطابقة مع الواقع من جهة، وارتباط المقال بالمقام من جهة أخرى.

وحين ننتقل إلى شاهد قرآني آخر تم ذكر الحيوان فيه، نلتمس –وبقوة– ما للبعد الأخير –أي الوظيفي– من أثر واضح وجلي ضمن بنية المحاججة الحوارية التي تداول طرفيها النبي موسى عليه السلام مع طاغية عصره (فرعون)، وذلك في قوله عز وجل: ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ [الشعراء:٢٩-٣٢]، وقد جاء ذكر

(الثعبان) في سورة الأعراف كذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الاعراف:١٠٤-١٠٧]. فالموضعان يتناولان الأحداث نفسها التي دارت في مشهد التحاجج بالأدلة المبرهنة على وقوع الغلبة لأحد الطرفين: (موسى) المؤيد من الله تعالى في مقابلة جدلية موقفية متعارضة مع (فرعون) وأعوانه، وقد أنجز الفعل (قال) جانباً كبيراً من معاني الحوار القائم بينهما سياقياً ومقامياً، وهو فعل تداولي يتزعم وظيفة رواية الأحداث التي تكررت مشاهدها في اكثر من سورة، "ويقصد بالتداولي وجود تواصل وجدل بين الأطراف المتحاورة، تتحدث فيما بينها مستخدمة الأدلة الحجاجية، ويتم كل هـــذا بطبيعة الحال داخل ســـياق خطابي"[١٩].

وبما أن الأفعال بجملتها الخبرية قد استجلبت مضامين أحداثها في الآيات القرآنية المتقدمة، فهذا من شأنه أن يجعل من مجال التوجيه الخطابي مجالا واسعاً من حيث التتابع الكمي في الحدث، ثم الوقوف عند التباين النوعي من حيث تطور ذلك الكم، وصولاً الى الغاية المرجوة من تحقيق هدف الإقناع، واستحضار صورة العصا حين تحولت الى ثعبان مبين هو المحك القاطع للحوار الجدلي بين الطرفين، لا من حيث التتابع واستكمال مجريات المشهد، بل من حيث تباين نوع الصورة الحسية التي أفحمت الخصم، ومن المعلوم أن دلالة لفظ الثعبان أدعى الى ايقاع الخوف في نفس المخاطب من لفظ (الحية) الذي تم ذكره في سورة طه: ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه:١٩-٢١]، إذ ثمة فرق كبير بين المقامين؛ فمقام الأحداث في

سورتي الأعراف والشعراء مرتكز على اظهار الحجة الأقوى دلالة والأكثر وقعاً في نفس الطرف الآخر المجادل، في حين أن المقام الذي تسوّرَ مشهد تحول العصا الى حية في سورة طه كان الحوار فيه مبنياً على التأييد والإسناد بالحجة الدالة على النبوة المعضدة بالذات الالهية، ولم يكن هذا الحوار واقعاً ضمن نطاق الجدال أو متشكلاً في منزلته.

ولبعض اللغويين لمسة بيانية مستوحاة من أسرار الاعجاز اللغوي في استعمال لفظي الثعبان والحية[٢٠] في مواضع الآي الكريمة التي تم ذكرها، بالنظر الى ما يعطيه اللفظ الأول من دلالة الهيأة العملاقة الكبيرة المرعبة التي يستوجب حضورها في مقام مَن يدعي الالوهية المتجبرة الطاغية، ومناصريه من السحرة الذين استرهبوا جموع الناس بسحرهم وكذبهم الخادع. وهذه مسألة متعلقة بلا شك بالطرائق الاقتضائية في توصيل الرسالة، ولا سيما حين يواجه المحاجج أطرافاً معارضة تُقبِل على تقديم الحجج التي تعمل على إضعاف جوهر اطروحته وأصل الفكرة التي يؤمن بها؛ لذا لابد من اجتياز هذا الحاجز واثبات تلك الدلائل، وتحقيق الهدف[٢١]. وهو ما انتهى اليه موقف الجدال بين موسى عليه السلام وخصمه عبر إحدى دلائله الواضحة والمسندة من رب العزة والجلالة، حتى أثبت أنه رسول من رب العالمين، وانه لا يقول على الله إلا الحق، فانصاع المعارضون (السحرة)، وخضعوا لأمر الإيمان من دون مساومة كما التي اشترطوها على فرعون فيما لو كانوا هم الغالبين.

أما الحيوانات التي كانت آية بينة على قدرة الله تعالى وبديع خلقه في واسع ملكوته العظيم، هو حيوان (الابل)، يقول سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[الغاشية:١٧]. هذا الخطاب جاء ضمن رسالة تبليغ مفتتحها مطلع السورة: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغاشية﴾ [الغاشية:١]، والمقصود بحمل هذه الرسالة هو

رسولنا الكريم محمدﷺ، فهو إذن المخاطب بإشارة كاف الخطاب في الفعل (أتاك)، لكنه مخاطَب من أجل ايصال الرسالة الكبيرة عن اهوال يوم القيامة وحال أهل النار واهل الجنة في ذلك اليوم، بمعنى آخر، هو خطاب من ورائه تبليغ لأهل الكفر والاشراك، ووظيفة هذه الرسالة هي تذكيرهم بحديث الغاشية: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ [الغاشية ٢١-٢٣]، وقد جاءت هذه الوظيفة عقب آيات الاستدلال الكونية التي تبرهن على عظمة الخالق سبحانه، وهي متعددة ومتنوعة، ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية:١٧-٢٠]، وما نعاينه أن الإبل هي أولى هذه الآيات الاستدلالية التي عوّل عليها الخطاب في اثبات الحجة على مَن ينكرها من أهل الكفر.

يقول الطبري مفسراً هذه الآيات: "أفلا ينظر هؤلاء المنكرون قُدرة الله على هذه الأمور، إلى الإبل كيف خلقها وسخرها لهم وذَلَّلها وجعلها تحمل حملها باركة، ثم تنهض به، والذي خلق ذلك غير عزيز عليه أن يخلق ما وصف من هذه الأمور في الجنة والنار، يقول جلّ ثناؤه: أفلا ينظرون إلى الإبل فيعتبرون بها، ويعلمون أن القُدرة التي قدر بها على خلقها، لن يُعجزه خلق ما شابهها"[٢٢] من العلامات الدالة على قدرته العظيمة وامتداد آلائه المسخرة لبني البشر، ومن المؤكد أن تقديم هذا الحيوان على مراتب أخرى من وجوه الاستدلال، يحفز الفكر للوقوف على أسباب وضعه في التسلسل الأول، بل ان ما يجعل التحفيز أكثر قوة هو أنه لم يرد حيوان آخر غير جنس الإبل مقروناً بالدلائل الخَلْقية في هذا الكون المهيب، كمثال مجيء ذكر الناقة في سورة الشمس التي ابتدأت بأسلوب القسم القاطع اليقيني لكل وجوه الانكار؛ ذلك أن الشمس والقمر والليل والنهار والسماء

والأرض وكل ما في هذا الكون هي دلائل واضحة ومرئيات شاهدة، لا يمكن لأحد إباء الاعتراف بوجودها، وقد جاء في معرض ذلك ذكر الناقة: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس:١١-١٣]؛ من هنا لابد من الإمعان في سر العلاقة الدلالية بين الأبل أو نوع جنسها وبين صور الآيات الكونية.

إن بيان اللغة القرآنية يسعى دائما إلى توظيف الأدوات اللغوية وكفاءة البعد التداولي في المقارنة بين الأشياء والمسميات؛ وعليه بدا مهماً الكشف عنها وإعارة منزلتها الأهمية المتوخاة في استراتيجية الخطاب وسُبُله الحجاجية والجمالية؛ ذلك "أن الحجاج لا غنى له عن الجمال، فالجمال يرفد العملية الإقناعية"[٢٣] ويأسر النفوس بفعل تأثيره فيها.

ولو عدنا الى النص القرآني ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ لرأينا أن العامل اللغوي موظف في أداة الاستفهام (الهمزة)، وهو استفهام مجازي غرضه الانكار المتناسب دلالياً مع موقف الكفار من شواهد الخلق على عظمة الخالق، ثم لنتأمل معاني الفعل (ينظرون) الذي يرسم مقتضيات الحجة بمنظار الرؤية العينية والرؤية البصيرية والرؤية المنطقية حيال كل ما يحيط بهم من دلائل، تشترك في هذه المقتضيات، غير ان تحديد نطاق الشاهد بـ(الإبل) وهو مقرون بكيفية الاختلاق، جعل معيارية هذه الكيفية وصنفها مفترقَيْن عن ما يناظرهما في بقية أفعال الآيات الاستدلالية الأخرى، وهذه الأمور مجتمعة تعكس أولاً مدى جمالية منظر هذا الحيوان في عين العربي المعتاد على اقتنائه لأغراض شتى، فهو لا يحيد عن استعماله في ثوابت حياته البيئية والعرفية المتداولة، وثانياً ان ما تتميز به الابل من خواص تفردت بها عن غيرها من الحيوانات من الناحية الجسمانية والسلوكية، قد أهّلتها لتكون الآية البرهانية الاكثر احتكاكاً بالإنسان مما

سواها، و-بالنتيجة المنطقية- الأعلى ترتيباً في قائمة التذكير الحجاجي.

الخاتمة:

تقتضي أبواب المعرفة المنهجية وضوابطها العلمية أن يلخص الباحث جوامع ما تطرق إليه في دراسته؛ ليصل إلى أهم المحاور الإجمالية التي توصل إليها عند هذه المرحلة التي نحن الآن بصددها، والتي أوعزت فيها تفاصيل بحثنا هذا الى ذكر ما يأتي:

١- جاءت مسميات حيوانية كثيرة ومتنوعة في العديد من الآيات القرآنية، بيد أن سياقات ذكرها ومقام حالها لم يقع كله في باب الحجاج، بل كان لها سياقات أخرى ومقامات متلائمة مع ما يوجبه ذكر حيوان معين أو مجموعة من الحيوانات في الآية، كالعذاب بفعل العقوبة الربانية، أو بيان الحكم الشرعي من حيث الحِلِّ والحرمة، أو تشخيص ذكرها ضمن أحداث قصة ما من قصص القرآن.

٢- النسبة الأعلى على صعيد المساحة النصية حجاجياً كانت في المحور الثاني الذي تناول آيات المحاججة بالحيوان قياساً بآيات المحاججة على لسانه، وإن تمت ملاحظة ايراد مثال واحد، وهو طائر الهدهد بوصفه عينة هذا المحور، فإن المثال نفسه لم يقف عند آية واحدة من منطوقه الحجاجي، بل آيات عدة، وقد استوفينا الكلام عن ذلك ملياً.

٣- إن المناسبة بين سياق الآيات المتتالية في تركيبها الجملي ومقتضى مقام الخطاب الحجاجي الذي ارتسمت في معياريته، ألزمتنا ان نذكر آيات سابقة او لاحقة للآية التي تضمنت موضع الشاهد -أي الحيوان-، وذلك استيفاءً لمرامي الحجة وتفصيلاً لمراتبها الهادفة الى الاقناع.

٤- غلبة الحجاج اللغوي من حيث روابطه الكلامية وأدواته التقنية المحتكمة الى الدليل التطبيقي بلاغةً وأصولاً وتداولاً لتحقيق الغاية العظمى من الحجاج، وهي التأثير في المخاطَب المعني تحديده في البنية الحجاجية، إذ قد لا يكون المخاطب هو المعني أو المقصود بهذه البنية، كالذي

وضحناه في صدد حديثنا عن سورة الغاشية التي ابتدأت بتوجيه الخطاب الى الرسول ﷺ لتبليغ الرسالة إلى مَن تزعموا انكارها، فكانوا هم من قُصِدت محاججته، وليس هو.

٥- من لطائف البيان القرآني ما اشتمل عليه من مراعاة خطاب الحجاج في آيات الحيوان التي تم ذكرها لجوانب الصور الحسية المنتزعة من الواقع الحقيقي المتاخم لأجواء الاستدلال بها.

الهوامش:

١- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي و د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: ج١/ ٣٣٨.

٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٣م: ٥٩.

٣- المصدر نفسه: ٧٢٢.

٤- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقب بالزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية-الكويت، ١٩٦٥: ٥/ ٤٦٨.

٥- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر- بيروت، ط١١:١/ ١٠٣.

٦- ينظر: مفهوم الحجاج في القرآن الكريم (دراسة مصطلحية)، لمهابة محفوظ ميارة، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد ٨١، ٣/ ٥٣٩-٥٤٤.

٧- ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية، عبدالله صوله، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧، ١٥-١٦.

٨- المصدر نفسه: ١٧.

٩- الحجاج، مفهومه وأنواعه في ضوء القرآن الكريم (سورة الأعراف نموذجاً)، ثائر الشبلي، مجلة العلوم الانسانية والطبيعية، مج ٢، ع٧، يوليو ٢٠٢١: ٧٢٥.

١٠- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩ م: ٦/ ١٨٢.

١١- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع -تونس- ١٩٩٧ م: ١٩/ ٢٣٦-٢٧٣.

١٢- المصدر نفسه: ١٩/ ٢٣٧.

١٣- رسائل الجاحظ (الرسائل الكلامية)، أبو عثمان بن بحر بن محبوب، تقديم: علي بو ملحم، ب ط، دار الهلال - بيروت، ٢٠٠٤: ١٢٨-١٢٩.

١٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه

التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي بيروت، سنة الطبع: ١٤٠٧ هـ،:٣/ ٣٥٩.

١٥- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبْدالرحمن حسن حَبنكة الميْداني، دار القلم-دمشق، ط١، ١٩٩٦: ١٧١.

١٦- ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٥٠٧-٥٠٨.ومعالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى٥١٦هـ]، تحقيق: محمد عبد الله النمر -عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط١٤١٧،٤هـ-١٩٩٧م: ٣/ ٣٠٣-٣٠٤.وجامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، [٢٢٤-٣١٠هـ]، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: ١٣/ ٢٦٢.

١٧- ينظر: استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، - بيروت،د ط، ٢٠٠٣: ٤٧٦ - ٤٧٧.

١٨- مفاتيح الغيب، أبو عبدالله فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، ط١،: ١٥/ ٤٧.

١٩- من الحجاج الى البلاغة الجديدة، جميل حمداوي، أفريقيا الشرق-المغرب، د.ط،، ٢٠١٤: ٢٢.

٢٠- ينظر: من أسرار البيان القرآني، فاضل السامرائي، دار ابن كثير- دمشق، ط٢: ٥٣.

٢١- ينظر: البنية الحجاجية في النثر العباسي – تناول تداولي لكتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني-، نفيسة طيب، رسالة ماجستير، المركز الجامعي العقيد أكلي محند أولحاج- البويرة: ٦٤.

٢٢- جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٤/ ٣٨٨.

٢٣- الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة – بنيته وأساليبه-،سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث- اربد، د.ط، د.ت: ١٢٠.

المصادر والمراجع:

١- استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، د ط، ٢٠٠٣.

٢- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبْدالرحمن حسن حبنكة المِيْداني، دار القلم - دمشق، ط١، ١٩٩٦.

٣- البنية الحجاجية في النثر العباسي - تناول تداولي لكتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني -، نفيسة طيب، رسالة ماجستير، المركز الجامعي العقيد أكلي محند أولحاج - البويرة.

٤- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقب بالزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية - الكويت، ١٩٦٥.

٥- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع -تونس- ١٩٩٧ م.

٦- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٣م.

٨- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، [٢٢٤-٣١٠هـ]، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٩- الحجاج، مفهومه وأنواعه في ضوء القرآن الكريم (سورة الأعراف نموذجاً)، ثائر الشبلي، مجلة العلوم الانسانية والطبيعية، مج ٢، ع٧، يوليو ٢٠٢١.

١٠- الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة - بنيته وأساليبه -،سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث- اربد، د.ط، د.ت.

١١- الحجاج في القرآن من خلال أهم

خصائصه الاسلوبية، عبدالله صوله، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧.

١٢- رسائل الجاحظ (الرسائل الكلامية)، أبو عثمان بن بحر بن محبوب، تقديم: علي بو ملحم، ب ط، دار الهلال – بيروت، ٢٠٠٤.

١٣- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (٤٦٧- ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي بيروت، سنة الطبع: ١٤٠٧ هـ.

١٥- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، ط١.

١٦- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى٥١٦هـ]، تحقيق: محمد عبد الله النمر-عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

١٧- مفاتيح الغيب، أبو عبدالله فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، دار الكتب العلمية -بيروت- ١٤٢١هـ -٢٠٠٠ م، ط١.

١٨- مفهوم الحجاج في القرآن الكريم (دراسة مصطلحية)، لمهابة محفوظ ميارة، مجلة مجمع اللغة العربية- دمشق، المجلد ٨١.

١٩- من أسرار البيان القرآني، فاضل السامرائي، دار ابن كثير-دمشق، ط٢.

٢٠- من الحجاج الى البلاغة الجديدة، جميل حمداوي، أفريقيا الشرق- المغرب، د.ط،، ٢٠١٤.